«الديالوجية» (الحوارية)، فإننا نجده في بعض الأحيان يتحدث عن موقف الكاتب من عصره، وغالباً ما يكون هذا خارج التحليل المباشر للروايات، فقد قال مثلاً بشأن «دوستويفسكي»:

«إنه من المناسب أن نؤكد هنا بأن العلامة البارزة الرئيسية في نتاج «دوستويفسكي» من زاوية الشكل(*) أكثر من زاوية المحتوى، هي الصراع ضد تشيُّؤ الإنسان، وكل القيم الإنسانية في عالم رأسمالي»[160].

ونتساءل هنا: كيف استطاع «باختين» أن يستخرج مثل هذه النتيجة من خلال مؤلفات «دوستويفسكي» الروائية، وهو الذي يقول بالحياد المطلق للكاتب؟ هذا التساؤل يدعو أحياناً إلى إعادة النظر في الطريقة التي فُهِمَ بها «باختين» في الغرب، سواءً عند «جوليا كريستيفا» أم عند «تزفيتان تودوروف»، خاصة في كتابه: «ميخائيل باختين، المبدأ الحواري»[161].

إن منهجية «باختين» تُعْتَبَرُ بمثابة سوسيولوجية نصية روائية بالمعنى الصحيح، لأنها على الرغم من انطلاقها من معطيات المادية الجدلية تتخلى في نهاية الأمر عن القول بالاستقلالية النسبية التي يتمتع بها الفن عن الواقع، وتقول بالاندماج الكامل للرواية بالواقع، كما تقول بحياد الكاتب المطلق، ثم إنها تقتصر في البحث عما هو اجتماعي على ما يوجد من خلال تعددية الأصوات، وتعددية الإديولوجيات، أي من خلال حوارية النص الروائي. ولذلك فهي تبقى دائماً في إطار فهم العالم الداخلي للرواية دون أن تنتقل إلى تفسير هذا العالم. ولنا الحقُّ أن نتساءل هنا، هل كان «باختين» حقاً مناهضاً لنظرية الانعكاس الميكانيكي أم أنه كان مدافعاً عنها من حيث لا يدري؟

دور «بيير زيما» في بناء سوسيولوجيا النص الروائي:

إن ملامح اتجاه سوسيولوجيا النص الروائي تظهر بشكل تصريحي ومقصود بالذات في الكتابات القليلة التي أنجزها الناقد التشيكوسلوفاكي الأصل، «بيير زيما» (Pièrre V.

(*) ان مفهوم الشكل عند باختين شديدُ الارتباط بالمحتوى، بل ان الشكل هو الذي يعطي لهذا المحتوى دلالة ما، انظر رأيه في علاقة المحتوى بالشكل في كتابه:
Esthétique et théorie du roman. P. 70 (الفقرة الأخيرة على الخصوص).

(160) Ibid., P. 101.

(161) Tzvetan Todorov: **Mikhail Bakhtine, le principe dialogique** Seuil - Paris. 103. (أنظر الفقرة الأخيرة خاصة)